(٤)
في حدائق
الإيمان

obeikandl.com

الإيمان هو ذلك الإحساس الجميل بالخالق الأعظم واهب الحياة والوجود، وأن وراء كل ظواهر هذا الوجود - ما نعرفه وما لا نعرفه- الله سبحانه وتعالى الذى لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء، وأن هذا الخالق العظيم وسعت رحمته كل شئ وأنه خلق هذا الوجود من العدم.

وإذا كان الفكر الإنسانى يحاول أن يدرك ما حوله فى هذا الوجود، فإن هذا الفكر قاصر عن إدراك كنة هذا الوجود، لأنه محدود الإمكانيات، إن الفكر متمثلاً فى العقل يدرك أن وراء كل معلول علة، وأن علة هذا الوجود هو الخالق الأعظم - جل علاه - وأن وراء هذا الإبداع الكونى، والتناسق المدهش فى الأرض والفضاء بما فيه من كواكب ونجوم ومجرات يدل على مبدع الوجود.

* * *

الإسلام لا يعطل عمل العقل، بل يطلب منه أن يفكر فى كتاب الكون المفتوح، وأن يعرف السبب والمسببات ليعرف.. وليعلم.. وليتعلم، ويحاول أن يهتدى إلى قوانين هذا الكون ويسخره لخدمته والعلم يكشف فى كل عصر من العصور عن بعض ما فى هذا الوجود من عجائب، وسيظل يتقدم مع تقدم العلوم إلى أن تقوم الساعة.

فأنت بالعلم تعرف قيمة اليقين:

* ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

* ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

ويروى أبو الدرداء عن رسول الله قوله:

«من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب».

وهذا العلم يجعلك تفكر فى وجودك فى هذه الحياة، وفى الحياة نفسها وما فيها من مظاهر.. وأن وحدة الخلق تؤدى إلى الإيمان بوجود الخالق.

يقول تعالى فى سورة البقرة:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

هذه الآيات لها دلالاتها ومعانيها، عن السماء من فوقنا، والحياة وما يتعاقب عليها من ليل ونهار، والسفن التى تمخر عباب البخار وهذه الأمطار التى تحى موات الأرض، وتنبت الزرع، ولا يستغنى عنها كائن حى أليست هذه الآيات وغيرها التى تتحدث عن الموجودات والأفلاك، وأن كل الأمور تجرى بأقدار الله. وأن الإنسان

خلق بعد أن تهيأ الكون لاستقباله، فدوران الشمس والقمر.. تجعلنا نهتدى إلى التقويم الذى نعرف به أمسنا وغدنا ومستقبلنا كما يقول فى سورة يونس:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].

بل يجعلنا - القرآن الكريم - نلم بحقيقة، وهى أنه لا حياة لشئ من إنسان أو حيوان أو نبات إلا بالماء.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ومن يرى هذا الوجود بتناسقه وجماله، وما فيه من وحدة الخلق، ثم لا يعرف أن وراء هذا الوجود البارئ الأعظم. ولا يهتدى للإيمان، وجلال الاستقرار القلبى، ينطبق عليه قوله تعالى:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[الأعراف: ١٧٩].

وما أصدقه عليه الصلاة والسلام حين قال كما رواه مسلم:

«ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا».

* * *

ولكن ما هو الإيمان:

الإيمان أن تؤمن بأركان الإسلام الخمسة:

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان.

هذه الأركان الخمسة هى دعائم الإسلام، فما دمت قد آمنت بالله وبخاتم رسله، وأقمت الصلاة التى تعرج بها فى اليوم بروحك إلى السماء خمس مرات.

وكان فى مالك حق للسائل والمسكين، وصمت رمضان، وقمت بالحج إلى البقاع الطاهرة إن كان فى استطاعتك ذلك، فقد تمكن الإيمان من قلبك، وأصبح للحياة طعم آخر. فأنت تعيش وأنت على ثقة بأن ما أتاك من خير فهو من الله.

وإذا أصابتك الخطوب والنوائب فهناك الصبر والمثوبة عند الله. عندئذ يتساوى أمام الإنسان كل شئ.

إذا جاءه الخير حمد الله، وإذا أصابه غير ذلك لم يجزع ولا تذهب بعقله الهموم والأحزان، وإذا تورط فى الإثم فالطريق ليس مسدوداً، هناك المغفرة وهناك الرحمة.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

* * *

وأى طريق مسدود هذا الذى يحول بين الإنسان وبين الشعور بالسعادة، طالما أن طريق الإيمان مفروش بالأمل.. مفروش بالأمانى.

وإذا أخطأت فالله غفور رحيم.

* معنى هذا أن الإنسان عندما يخطئ ويتذكر جلال الله وعظمته، ويستحضر عفوه العظيم، يستيقظ ضميره، ويسلم قلبه من الشوائب، فيعزم على التوبة، وعلى سلوك طريق الله، فيتجنب أن يقع مرة أخرى فى المعاصى يقول جل علاه فى حديث قدسى رواه أنس بن مالك عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام «يا ابن آدم.. إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك كل ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتنى غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى ولم تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة».

ويقول جل جلاله فى القرآن العظيم:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

[آل عمران: ١٣٥].

* * *

الإيمان إذن حديقة رائعة الجمال.. تتطهر فيها الروح، وتسمو عن الدنايا، وترتفع إلى آفاق لا يشعر بها إلا الذين ذاقت قلوبهم حلاوة الإيمان.

وتروى كتب الأحاديث (البخارى ومسلم) ما روى عن عمر ابن الخطاب قوله:

«بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال:

- يا محمد أخبرنى عن الإسلام:

فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.

قال: صدقت.

فعجبنا له يسأله ويصدقه.

قال: فاخبرنى عن الإيمان.

قال الرسول:

أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

قال: صدقت.

قال: فاخبرنى عن الإحسان؟

قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال: فاخبرنى عن الساعة؟

قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

قال: فاخبرنى عن أماراتها؟

قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاه يتطاولون فى البنيان.

ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال:

- يا عمر أتدرى من السائل؟

- قال: الله ورسوله أعلم.

قال الرسول: إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

* * *

إن الذى يطمئن قلبه بالإيمان يعيش حياته وهو مطمئن بهذا الإيمان الذى يجعل لحياته معنى.. لأنه فى هذه الحياة سوف يحيا حياته وهو يعلم أنه سيرحل عنها إلى عالم الخلود.. حيث يجازى الإنسان بما قدمت يداه.. فإن فعل ما يوجب الجنة دخل الجنة بعمله وبرحمة ربه، وإن عمل ما يوجب النار، فسوف يلقى عقابه على ما قدمت يداه لأن الله تعالى هو العدل المطلق.

* * *

والإسلام يرسم صورة واضحة المعالم.. واضحة القسمات لما ينبغى أن يعرفه المسلم من العقائد التى نادى بها.. وبالتالى فهو يرسم للمسلم خريطة لهذه العقائد التى تجعله على علم بهذه الغيبيات التى حدثنا عنها.. ومن هذه العقائد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.. فالإيمان بالله موجود بالفطرة فى أعماق كل منا.. منذ أن أشهد الناس على أنفسهم فى عالم الذر.

ورسله من البشر حتى يمكنهم أن يتفاهموا مع أممهم، ويبلغوها ما جاء به الوحى من أنباء الغيب والقيام بما أمر به الله سبحانه وتعالى، والابتعاد عما نهى عنه.. وهؤلاء الأنبياء جاءوا جميعاً برسالة واحدة.. هى رسالة التوحيد، وكان خاتمهم محمداً عليه الصلاة والسلام.

لقد عرف مجتمع مكة قبل الإسلام محمد بن عبد الله، عرفوا عنه الأمانة والطهارة والشرف.. لم يسجد لصنم قط، ولا خان الأمانة، ولم يقترف الرذائل، بل كان إنساناً نبيلاً.. فاضلاً.. حتى لقبوه بالأمين..

ولم تعرف عنه مكة أنه كان يجيد القراءة والكتابة حتى يتهم بأنه قرأ الكتب السابقة ونقل عنها.. فقد كان الأمى الذى علم الدنيا كلها قيمة العلم والمعرفة.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨، ٤٩].

ويأخذنا القرآن الكريم والذى أنزل على الرسول الخاتم ﷺ إلى عالم من الأنوار.. إنه يكشف لنا ما خفى علينا من أمور الغيب.

إنه يحدثنا عن الملائكة.. وأنهم مخلوقات الله.. لا تعصى أوامر الله.. وأن لهم مهام مختلفة.. هناك من يبلغ الوحى، وهناك من يقبض الأرواح، ومنهم من يثبت الله بهم قلوب رسله وأنبيائه والمؤمنين من عباده.. ولكن القرآن لا يحدثنا مما خلقوا، فإذا كان الإنسان قد خلق من الطين، والجن من النار، إلا أنه لم يذكر لنا مما خلق الملائكة.. ولكنه حدد وظائفهم.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥].

ويقول عنهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وجبريل عليه السلام هو الذى ينزل بالوحى على الأنبياء والرسل.

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء : ١٩٢ - ١٩٤].

كما أن هناك من الملائكة من يبشر المؤمنين الذين عملوا صالحاً فى دنياهم بما ينتظرهم من جزاء فى الآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت : ٣٠].

وعن الذين يقبضون أرواح الناس عند الموت قال عنهم القرآن الكريم:

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل : ٣٢].

كما يحدثنا القرآن الكريم عن الملائكة من الكتبة، ويصف الملائكة بأنهم مخلوقات لا يدركهم العقل البشرى، ولكنهم موجودون.. ومهامهم حددها القرآن الكريم كما أسلفنا وهم كما يقول الله تعالى عنهم:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر : ١].

ويفسر هذه الآية ابن كثير بقوله: قال سفيان الثورى عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضى عنهما قال: كنت لا أدرى ما فاطر السماوات والأرض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر.

فقال أحدهما لصاحبه أنا فطرتها أى بدأتها!

وقال ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً: فاطر السماوات والأرض أى بديع السماوات والأرض.

وقال الضحاك: كل شئ فى القرآن فاطر السماوات والأرض فهو خالق السموات والأرض.

وقوله تعالى ﴿جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً﴾ أى بينه وبين أنبيائه﴿أُوْلِي أَجْنِحَةٍ﴾ أى يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعاً ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ أى منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء فى الحديث أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ولهذا قال جل علاه:

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

* * *

ونمضى مع القرآن الكريم الذى يخبرنا عما لا نعرفه من أمور الغيب فيحدثنا عن عالم الجن، وأنهم مخلوقات الله، وأنهم خلقوا

من النار. . وأن منهم الخيرين والشريرين، وأنهم مكلفون بالإيمان بما جاء به رسل السماء، ومن يحيد منهم عن ذلك فيعذبه الله كالبشر تماماً يوم القيامة بما قدمت يداه.

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ [الأنعام : ١٢٨ - ١٣٠].

* * *

كما يحدثنا القرآن الكريم عن الروح الذى لا يعلم سرها إلا الله تعالى، ولكن لا حياة لإنسان إلا بها، فإذا ما عادرت الروح إلى الجسد انتهت حياة الإنسان.

ويقول لنا الشيخ محمود شلتوت فى كتابه الإسلام عقيدة وشريعة. . وهو يحدثنا عن عقائد الإسلام أما الروح التى بها حياة الإنسان، فلم يرد عنها فى القرآن الكريم سوى قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩].

وقوله: ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٣، ٨٤].

وغاية ما يدل عليه ذلك أنها شئ يبعثه الله فى جسم الإنسان فتكون به حياته، وإذا انتهى أجله خرج من جسمه فكان موته أما حقيقة ذلك الشئ فقد ترك القرآن بيانها. ومع ذلك فليس فى القرآن ما يمنع العلماء من البحث فى حقيقتها، شأن كل مجهول يحاول الإنسان أن يدركه سواء وصل إليه أم لم يصل.

وقد يفهم من قوله وتعالى:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥].

أن الروح مما استأثر الله بعلمه، وأنها ليست من عالم المادة التى يستطيع العقل البشرى أن يدرك حقيقتها لبحثه ونظره، ولكن المتأمل فى سابق الآية المذكورة، ولاحقها يرجع أن المراد بالروح فيها هو القرآن، وقد سماه الله روحاً.

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

ويقول الإمام الأكبر:

والذى تدل عليه النصوص الواردة فى القرآن وأقوال الرسول، فيما يتعلق بالروح بعد الموت - أنها تبقى بعد الموت منعمة أو معذبة.

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

* * *

وإذا كان الشيخ محمود شلتوت لا يرى مانعاً أمام الإنسان من محاولة دراسة (الروح).. فنرى الآن بالفعل فى الشرق والغرب، من يحاولون ذلك.. وإن كانت الروح ستظل سراً.

فقد سئل ابن عباس:

- أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان؟

قال:

- أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الأدهان.

قيل له:

- أين تذهب الجسوم إذا بليت؟

قال:

- فأين يذهب لحمها إذا مرضت؟

لقد أجاب ابن عباس عن علامات الاستفهام بعلامات استفهام.. وهذا يبرز العجز البشرى عن إدراك كنه الروح، وقد تحدث عن الروح وآمن بها الفراعنة، وفلاسفة اليونان، وفلاسفة المسلمين عبر كل العصور.. وفى الغرب الآن عن طريق البحوث الروحية يحاولون ذلك.

ويورد الدكتور عبد العزيز جادو فى كتابه عن (الروحية) هذه المحاولات.. وما أورده من هذه المحاولات قول وليام باريت عالم

obeikandl.com

الطبيعة الذى كان أستاذاً للفيزياء بكلية العلوم بجامعة (دبلن) وعضواً فى الجمعية الملكية فقد لخص نتائج بحوثه الطويلة الشاقة فى المجلد الرابع والثلاثين من مضابط جمعية البحث الروحى الصادر فى سنة ١٩٢٤ قائلاً:

«لقد ثبت أولاً وجود عالم روحى، وثانياً الحياة بعد الموت، وثالثاً إمكان الاتصال بهؤلاء الذين انتقلوا إلى هناك».

كما نجده يصرح أيضاً بقوله:

«إنى مقتنع تمام الاقتناع بالحقيقة الواقعة وهى أن أولئك الذين عاشوا على الأرض فى وقت من الأوقات يمكنهم الاتصال بنا بل هم فى الواقع متصلون بنا، وإنه من الصعب جداً أن نبدى للمتشككين غير المدربين أى فكرة كافية عن القوة العظيمة للواقع المجهول.

كما يورد قول العالم البريطانى الشهير (سير ألفرلودج) الذى كان من كبار علماء المادة وأصبح من أبرز أعلام العلم الروحى، وكان مديراً لجامعة برمنجهام، وعضو الجمعية الملكية لتقدم العلوم وهو من أقوى علماء الفيزياء فى القرن العشرين.

من أقواله فى إحدى خطبه:

« إن الإنسان لا يسود الكون، ولا يعرف أسراره، لكنه يتلمس فيه الحقائق تلمساً، وقد كُشفّ حديثاً الراديوم وغاز الأرجون وأشعة رنتجن، وبعض خواص الكهرباء، وقد بدأ الآن يعرف شيئاً عن بناء

الجوهرالفرد، وتظهر هذه الأمور كأنها جديدة، وهى غير جديدة، بل كانت موجودة أيضاً، ونحن لا نعرفها وفى الطبيعة أيضاً أمور كثيرة لم نكشفها حتى الآن».

إلى أن يقول فى نفس الخطبة:

« وليس من العقل أن يقال أن النفس تضمحل إذا تلف الجسد، بل سنظل موجودين بعد موتنا وانتهاء أعمارنا القصيرة على هذه الأرض، أقول ذلك مستنداً إلى أدلة علمية - أقوله لأنى تحققت أن بعض أصدقائى الذين ماتوا لا يزالون موجودين إذ أنا ناجيتهم. ومناجاة الموتى ممكنة لكن ينبغى أن نجرى على قواميسها، وأن نعرف شروطها، هى ليست من الأمور الهينة».

وهذا الذى يراه البعض غريباً، قال به علماء المسلمين مستندين إلى الكتاب والسنة.

فيورد لنا الدكتور عبد العزيز جادو قول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وتتصل به أحياناً ليحصل معها النعيم أو العذاب».

ويقول أيضاً:

«...واستطاعت الآثار بمعرفة الميت أهله وأحوال أهله وأصحابه فى الدنيا وأن ذلك يعرض عليه - وجاء فى الآثار أنه يرى

وأنه يدرى بما يفعل عنده فيسر بما كان حسناً، ويألم بما كان قبيحاً. . وتجتمع أرواح الموتى فينزل الأعلى إلى الأدنى لا العكس»!

ويورد أيضاً رأى الشيخ حسنين محمد مخلوف (مفتى الديار المصرية الأسبق) ما ذكره عن الأرواح:

ينبغى أن نعلم أن عالم الأرواح يختلف عن عالم المادة اختلافاً كثيراً فى أحواله وأطواره فالروح وهى من أمر الله تعالى يسلكها الله فى البدن فى الدنيا فتوجب له حساً وحركة علماً وإدراكاً ولذة وألماً ويسمى بذلك حيا. ثم تفارقه فى الوقت المقدر أزلاً لقطع علاقتها به فتبطل هذه الآثار ويفنى البدن ويصير جماداً، ويسمى عند ذلك ميتاً، ولكن الروح تبقى فى البرزخ.

وهو ما بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى من يوم الموت إلى يوم البعث والنشور حية مدركة تسمع وتبصر وتسبح فى ملك الله حيث أراد وقدر وتتصل بالأرواح الأخرى وتناجيها وتأنس بها سواء أكانت أرواح أحياء أم أرواح أموات. . وتشعر بالنعيم والعذاب واللذة والألم حسب حالتها وعملها فى الحياة الدنيا، وترد أفنية القبور وتأوى إلى المنازل وهى فى كل ذلك لا يجدها مكان ولا يحصرها حيز. . إلى أن قال:

هذا هو مذهب أهل السنة وبه وردت الأحاديث والآثار. وقد ورد منها حديث سؤال القبر ونعيمه وعذابه، وأن المنعم والمعذب فيه

الروح والبدن معاً. . وحديث سماع الأرواح وإجابتها وحديث رد السلام على من سلم عليها واستقر رأى السلف على ذلك ولا عبرة لمن ينكره فإن شأن الأرواح يرقى ويسمو على مدارك المحجوبين بحجب المادة.

* * *

الإسلام إذن يفتح لنا بما يرسمه لنا من اعتقادات بالله وملائكته ورسله وكتبه والبعث والنشور. . وكل هذه الأمور من الغيبيات التى أوضحها لنا القرآن الكريم لنكون على بينة أن الحياة الدنيا. . حياة قصيرة. . ولكنها جسر إلى عالم الخلود. . وفى هذا العالم الآخر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأن كل ما فيها من نعيم أو عذاب لا نعرف كنهه وما جاء فى القرآن الكريم عنه هو تقريب لما سوف يحدث ونراه فى العالم الآخر. . بما يتلاءم مع مداركنا ومعارفنا على هذه الأرض. .

* * *